

# الكتابة الديوانية في العصر الإسلامي ودور « ابن المقفع »

بقلم : الدكتور أحمد عُلبي

«أكرموا الكتاب ، فإن الله عزّ وجلّ أجرى أرزاق العباد على أيديهم» .

عبد الحميد الكاتب

(الجّهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص ٨٠)

وعليّ الذين كتبوا للنبي ، ثم جاءتهم الخلافة بعدها تبياعاً<sup>(١)</sup> . وقد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية مع الفتوح ، ونشأت الدواوين ، واحتاجت الدولة إلى ضبط أعمالها ، فازداد شأن

لقد اشتغل عبدالله بن المقفّع بالكتابة ، وهذه المهنة عرفها العرب منذ ظهور الإسلام ، إذ كان للنبي كتابٌ يُملي عليهم . على أن الكتابة عند العرب كانت عهدذاك بحكم النُدرة ، إذ جاء في العقد الفريد : « وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير سبعة ( وقيل : بضعة ) عشر إنساناً » . ومن هؤلاء عمر وعثمان

(١) ابن عبد ربّه : العقد الفريد ، ج ٤ ص ١٥٧ ، ١٦٨ .

الكتابة وبالتالي أمر الكُتّاب ، خاصة وأن العرب لم يتداولوا الكتابة كثيراً وكان من يجيدها منهم ، كما تقدّم ، نفر قليل .

### ديوان السر

ومع مجيء الأمويين إلى الحكم ومجاورتهم الروم ، ومع تشابك مصالح الدولة الإسلامية ، تنوّعت الأعمال الكتابية بتنوّع الدواوين التي مرّت في ذاك الزمن بمرحلة التعريب الحاسمة ، وذلك بسبب رسوخ الدولة الإسلامية وتمشياً مع طبيعة تطورها الخاص . لذا أصبح هناك ، كما يذكر البطلوني ، نقلاً عن ابن مقلة ، خمسة أصناف من الكُتّاب : هناك كاتب الخط الذي يمتنّ النقل . وكاتب اللفظ وهو المترسّل . وكاتب العقّد وهو أنواع من كاتب الحساب وكاتب المجلس وكاتب العامل وكاتب الجيش ، وهؤلاء جميعاً ينبغي أن يكونوا على دراية بالحساب والمعاملات والمساحات والأرزاق . وهناك كاتب الحكم الذي يتوزع عمله على كاتب القاضي وكاتب المظالم وكاتب الديوان وكاتب الشرطة ، وهؤلاء جميعاً يتوجب عليهم أن يكونوا على تبصّر بأصول اختصاصهم . وهناك أخيراً كاتب التدبير وهو أجلّ الكُتّاب مرتبة ومنزلة ودوراً وخطورة<sup>(٢)</sup> . وكاتب التدبير مجالس السلطان ويكتب أسراره ورسائله ، لذا دُعي كاتب الرسائل ، أي صاحب ديوان الإنشاء أو ديوان الرسائل ، كما دُعي أيضاً كاتب السر ، وكان لا يتولى هذا المنصب حتى أيام العباسيين سوى أقرباء الخليفة وخاصّته . ولهذا أطلق على ديوان الإنشاء أيضاً اسم ديوان السر ، كما سُمّي الديوان العزيز<sup>(٣)</sup> .

ونلاحظ أن الكُتّاب البارزين لدى الخلفاء العباسيين أضحووا وزراء ، أمثال أبي أيوب المُرَبّاني كاتب السّفاح ووزير المنصور الوطيد المكانية ، والحسن بن سهل كاتب المأمون ، ومحمد بن عبد الملك الزيات كاتب المعتصم والوائق . وذلك أن هؤلاء الكُتّاب كانوا ، بحكم مهنتهم ، على بينة من أسرار الدولة ودخائلها ، وتربطهم برأس السلطة علاقة وثقى . وإن العبارة التي تُنقل على لسان عبد الحميد الكاتب حول كُتّاب ديوان الإنشاء صارخة التعبير في ما بلغه هؤلاء من مرتبة وتجلّة ونفوذ : « لو كان الوحي ينزل على أحد بعد الأنبياء لنزل على كُتّاب الإنشاء »<sup>(٤)</sup> .

### « حملة العِلْم أكثرهم العَجَم »

لقد برع الفُرس بالكتابة وطارت لهم فيها شهرة ، نظراً لعراقه امبراطوريتهم . فلما كان الإسلام ، وبات أهل فارس جزءاً من الدولة الإسلامية الجديدة ، استعان بهم الحكام في الدواوين ، وذلك لأن الفاتحين العرب شغلته الحرب والسياسة عن الاشتغال بأمور الإدارة والتنظيم . بل إن الخليفة عمر بن الخطاب كان ينهى المسلمين الفاتحين عن تعاطي الزراعة والأخذ بأساليب الحضارة ، وقد حال بينهم وبين تملك الأراضي التي اقتنحوها ، حرصاً عليهم من فتور حميتهم العسكرية وضياع نشاطهم الحربي . ومن يخالف أمر عمر ويبادر الى اعتماد الأرض فالتكال عاقبته ، لأن الخليفة وعد جمهور الفاتحين ، وكانوا جنّداً عاملين في الجيوش ، أن عطاءهم قائم ورزق عيالهم سائل فعليهم ألا يزرعوا . يقول عمر إنه سمع النبي يقول : « إذا فتح الله عليكم مصرَ فاتخذوا فيها جنّداً كثيفاً ، فذلك الجند أجناد الله . فقال له أبو بكر : ولم يا رسول الله ؟ قال : لأنهم وأزواجهم في رباط الى يوم القيامة » . ولهذا وجب على هؤلاء الجند الفاتحين صيانة خيلهم ، من قول عمرو بن العاص في خطبة له : « ولا أعلمنّ ما أتى رجل ، قد أسمن جسمه وأهزل فرسه . واعلموا أني معترض بالخيل كاعتراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علة حططت من فريضته قدر ذلك »<sup>(٥)</sup> .

إن الفاتحين العرب عرفوا شطّف البادية ، ولم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين ، ولا دُفعوا إليه ، ولا دعتهم إليه حاجة<sup>(٦)</sup> . فهم في مرحلتهم الأخيرة ما قبل الإسلامية على الأمية ، في حين أن الفرس مارسوا الحضارة والسلطان وخفّض العيش ، وما كانت اللغة العربية غريبة عنهم وكذلك أصحابها ، لأن اختلاط الفرس بالعرب قديم ، ولا يخفى أن الفرس أخضعوا اليمن ، لمرحلة من الزمن ، تحت حكمهم . بل إن الفرس ، بلّة بعض ملوكهم ، تعلموا العربية قبل الإسلام وتعاطوا بها الشعر . شأن بهرام بن بُزْدَجْرْد ، فقد نشأ مع العرب في الحيرة ، ونظم شعراً كثيراً بالعربية<sup>(٧)</sup> . وكان من حال الفارسي الذي يبغى التأقّن أن يتكلم بالعربية . وقد أضحى في الإسلام عدد جَمّ من الفرس حُجّة في علوم اللغة والقرآن ، بحيث قال

(٢) البطلوني : الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب ، ق ١ ص ١٣٧ - ١٦٠ .

(٣) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، ج ١ ص ٢٥٤ .

(٤) ابن حجة الحموي : ثمرات الأوراق ، ص ٣٣٥ - الصّفدي : الوافي بالوفيات ،

ق ١٥ ص ٣٧٥ و ٣٧٦ .

(٥) السُّبُوطي : حُسن المُحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج ١ ص ١٥٤ و ١٥٥ .

(٦) ابن خلدون : المُقدّمة ، ص ٥٤٣ .

(٧) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ ص ٣٠٣ و ٣٠٤ .

فيهم ابن خلدون : « من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم »<sup>(٨)</sup>.

## صناعات الموالي

اعتبر الفاتحون العرب العلم من الصناعات والمهن، فكروا الاشتغال به «لمقتضى أحوال السداجة والبداوة»<sup>(٩)</sup>. وكانوا ينعنون العربي الذي يمتحن التعليم أو يتبحر في اللغة من أنه يتعاطى بصناعات الموالي<sup>(١٠)</sup> ! لعمرى ، متى كان العلم أو التعليم سبباً وعيباً ؟ ! يقول ابن خلدون : « وأما العرب ، الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة ، فشغلتهم الرئاسة في الدولة وحميتها وأولي سياستها ، مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع ، والرؤساء أبدأ يستكفون عن الصنائع والمهن وما يجر إليها ، ودفعوا ذلك إلى من قام به من العجم والمولدين »<sup>(١١)</sup>.

وكان رُوَزْبَةَ بن دَاؤُودِيه الذي اشتهر بابن المقفع وتسمى عقب إسلامه بعبدالله ، من هؤلاء الموالي الذين اشتغلوا في الدواوين العربية بالكتابة . وكان الموالي في مرتبة وسطى بين الأحرار والعبيد . لقد كتب ابن المقفع ، في العهد الأموي ، للمسيح بن الحواري بنيسابور ، عاصمة خراسان ، طوال ست سنوات . كما كتب ليزيد بن هبيرة في كُرْمَانَ<sup>(١٢)</sup> . ويبدو أنه حصل من عمله هذا ثروة طائلة<sup>(١٣)</sup> . أما في العهد العباسي فقد اشتغل كاتباً لدى المنصور ، ثم ارتبط بعدها بالكتابة لأعمام الخليفة ، وظل حتى مماته في كنفهم . وقد أسلم على يد أحدهم ، وهو عيسى بن علي ، وتكنى بأبي محمد وكان قبلاً أبا عمر<sup>(١٤)</sup> .

وينبغي أن يكون ابن المقفع بارز الشخصية في محيطه ، ميسور الحال ، ما دام ينتسب إلى جماعة الكتاب . فالدولة بحاجة إلى هؤلاء الذين يتعاطون الكتابة الإدارية والسياسية ، لذا كانوا موضع حفاوة وإكرام ، فإن روايتهم موفورة وجراياتهم جزيلة . وقد بلغ بعض الكتاب حظاً كبيراً من الغنى ، ورُمي بعضهم

بتهم الاختلاس والارتشاء ومشاركة العمال في ذلك ، بحيث خضعوا لعمليات الحبس والمصادرة لاستخراج الأموال منهم<sup>(١٥)</sup> . ونعثر في « رسالة الصحابة » لابن المقفع أنه يندد بالكتاب ، لما لهم من نفوذ ومدخلات في أرزاق الناس<sup>(١٦)</sup> . ولهذا يقول أحد الشعراء ، بعد أن استصفى المنصور أموال وزيره أبي أيوب المورياني وقتله ، وكان هذا الوزير نهماً إلى جمع الأموال :

أسوأ العالمين حالاً لديهم من تسمى بكتاب أو وزير<sup>(١٧)</sup>

## ابن المقفع وصاحب الاستخراج !

وهناك رواية تتعلق بابن المقفع وردت لدى الجاحظ يقول فيها<sup>(١٨)</sup> : « وأما عبدالله بن المقفع فإن صاحب الاستخراج لما ألح عليه في العذاب ، قال لصاحب الاستخراج : أعندك مال وأنا أربحك ربحاً ترضاه ؟ وقد عرفت فائي وسخائي وكتماني للسر ، فعيتي مقدار هذا النجم . فأجابته إلى ذلك ، فلما صار له مال ترفق به مخافة أن يموت تحت العذاب فيتوى ماله »<sup>(١٩)</sup> .

إن صاحب الاستخراج أو صاحب العذاب هو الذي يُعهد إليه باستصفاة أموال الأشخاص الذين يُتهمون باختلاس الدولة الإسلامية ، وهؤلاء الأشخاص هم عليه القوم من الوزراء والولاة والكتاب وجباة الخراج . ولم يكن صاحب الاستخراج ليعف عن اللجوء إلى أشنع وسائل التعذيب ، لكي ينجز مهمته في أن يستخرج من المتهمين أموالهم الطائلة المخبوءة . بدليل أن صاحب الاستخراج عندما فجع ابن المقفع بريح يرضاه ، لقاء استدانته المال منه ، « ترفق به مخافة أن يموت تحت العذاب » . وذلك لأن وسائل التعذيب المستعملة كانت وحشية ، ولم يكن الاستخراج على الدوام شريعياً ، وكان يقوم به جلاد باع دينه وآخرته<sup>(٢٠)</sup> .

ومعنى الرواية المتقدمة عن ابن المقفع أنه متهم بالاختلاس ، بحيث وقع تحت ضربات صاحب الاستخراج . وهو متهم

(٨) المقدمة ، ص ٥٤٣ .

(٩) ابن خلدون : ص ٥٤٣ .

(١٠) زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، ج ٣ ص ٥٤ .

(١١) المقدمة ، ص ٥٤٤ .

(١٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ١٠٥ ، ١٠٩ .

(١٣) F. Gabrieli : Encyclopédie de l'Islam , t.3, p. 907 .

(١٤) عبدالقادر البغدادي : خزنة الأدب ولُب لسان العرب ، ج ٣ ص ٤٦٠ .

(١٥) زيدان : ج ٢ ص ١٣٩ و ١٤٠ ، ١٦٧ .

(١٦) محمد كرد علي : رسائل البلغاء ، ص ١٣١ .

(١٧) ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ص ١٧٦ .

(١٨) البيان والتبيين ، ج ٢ ص ١٦٦ و ١٦٧ .

(١٩) عيتي : أعطني . النجم : هو وقت أداء الدين ، ويقال نجمت المال يعني أدبته نُجُوماً أي في أوقات معينة . فيتوى ماله : يهلك ويضيع على صاحبه .

(٢٠) آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ١ ص ٢٣٣ - ٢٣٦ .

شأن ملاحه الزبي والمنظر ، واعتدال القامة لا أن يكون فضفاضا ، وكثافة اللحية ، وحلاوة الشمائل ، ورهافة الدهن والحس والبيان ، وجمال الخط<sup>(٢٦)</sup> . وذكر أبو حيان التوحيدي ، بالإضافة إلى أدوات المشيء الثقافية ومنها مهارته في نظم الشعر ، سجاياه الأخلاقية من دماثة الخلق ورقة الحاشية وملاحه النادرة وحسن المحاضرة ، وأن تكون صلته بالناس مبنية على الود وعدم التكبر والتعجرف ، وأن تكون لغته معتمدة على الألفاظ المناسبة المشاكلة للمعاني ، لا أن يتوسل اللغة العويصة ذات الألفاظ الغريبة فيعتسف الكلام اعتسافاً منقراً<sup>(٢٧)</sup> . وما بالناس رسالة عبد الحميد إلى الكتاب ، فهي جامعة للأدوات الكثيرة التي ينبغي أن يضطلع بها الكاتب لتجويد صناعته والارتقاء بها إلى مرتبة الشرف .

وقد غدت مهنة الكتابة مدار بحث وتأليف في موضوعها ، نذكر من ذلك كتاب « أدب الكاتب » لأبن قتيبة ( ت ٢٧٦ هـ ) ، وقد قسمه مؤلفه العتيد إلى كُتب أربعة هي : كتاب المعرفة ، كتاب تقويم اليد ، كتاب تقويم اللسان ، ثم كتاب الأبنية من أفعال وأسماء . وهو يتنوع في مقدمة عمله الجليل على الكتاب جهلهم وغفلتهم ويدعوهم ، بالإضافة إلى ما ورد في كُتبه المقدمة الذكر ، إلى الإطلاع على علم مساحة الأراضي وموضوع المياه ، وعلى النظر في الفقه وأصوله المتعلقة بالبيع . ثم يأتي على الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الكاتب من المروءة والصدق والمزاج المستلطف وعدم التعجير والتشدد والتماس الكلام الودحي الغريب ، وأن تكون ألفاظ الكاتب متجانسة مع مَنْ يكتب إليه : « ونستحب له أن ينزل ألفاظه في كُتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه ، وألا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام ، ولا رفيع الناس خسيس الكلام »<sup>(٢٨)</sup> .

وهناك « أدب الكتاب » لأبي بكر الصولي ( ت ٣٣٥ هـ ) ، وقد جعله صاحبه في ثلاثة أجزاء : احتوى الجزء الأول أفكاراً حول الكتابة والخط والقلم . وتضمن الجزء الثاني خصوصاً معلومات تتعلق بأدوات الكتابة . في حين أن الجزء الثالث تميز باهتمامه على بعض ما حث ابن قتيبة الكاتب على معرفته من أحوال الأرضين . لكن الجزءين الثاني والثالث نجد فيها شتاتاً

(٢٦) ابن عبد ربه : ج ٤ ص ١٧١ و ١٧٢ .  
(٢٧) ابن جبة الحموي : ص ٣٩٥ و ٣٩٦ .  
(٢٨) ابن قتيبة : أدب الكاتب ، ص ٩ - ١٨ .

لاشتغاله بالكتابة الترسلية ، أو ربما لتعاطيه وظيفة الخراج ، هذا إذا أخذنا بالاعتبار الرواية القائلة إنه تولى خراج بعض كور دجلة ، وقيل كورة بهباز ، وهي من أعمال سقي الفرات ، وذلك من قبل صالح بن عبدالرحمن الذي تسلّم خراج العراق أثناء خلافة سليمان بن عبدالملك<sup>(٢٩)</sup> التي امتدت خلال السنوات ٩٦ - ٩٩ هـ<sup>(٣٠)</sup> . وبالتالي فقد لقي ابن المقفع ما لقيه أبوه قبله من تعرض لتهمة احتجان مال يخص الدولة على عهد الحجاج ، فكان أن ضربه صاحب العذاب ضرباً مبرحاً حتى تقفقت يده<sup>(٣١)</sup> . فدعي المقفع ، واشتهر ولده بابن المقفع<sup>(٣٢)</sup> . وقد مشى الابن على خطى أبيه الذي اقترض مالا من صاحب الاستخراج بحيث أبقى عليه من القتل<sup>(٣٣)</sup> . ومهما كان شأن التهمة التي رُمي بها ابن المقفع من الصحة أو عدمها ، خصوصاً وأن تهمة الاختلاس الملققة كان لها سوق رائجة في العصر العباسي ، فلنا أن نستخلص من رواية الجاحظ أن ابن المقفع كان على يسار ، بحيث رضي صاحب الاستخراج أن يكون له دائناً . ثم هي توضح ما ذاع عن ابن المقفع من السخاء والوفاء ورجاحة المسلك ، إذ العهد بهذا الرجل انه على خلق نبيل .

### صفات الكاتب

وقد حرص العرب أن تجتمع لدى الكاتب خلال محمودة ،

(٢١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٣٢ ، ٥٧٠ .  
(٢٢) عندما حمل ابن المقفع مال الخراج ورسالة موضحة عن مقدارها إلى صالح بن عبدالرحمن ، جعل ذلك في جلد وصفر الرسالة ، أي جعلها مصفرة بالزعفران ، وفق العادة المتبعة بعد كسرى بن هرمز أبوزيد الذي تآذى بروائح صُحف الخراج التي تحمّل إليه كل سنة من أصحاب الخراج ، فأمر صاحب ديوان الخراج أن لا تُرفع إليه صحف الخراج إلا مصفرة بالزعفران وماء الورد . وعندما وردت رسالة ابن المقفع إلى صالح بن عبدالرحمن ضحك وقال : « أنكرت أن يأتي بها غيره » ( البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٥٧٠ ) . وهذا العمل بنى بثقافة ابن المقفع الفارسية ومستواه الاجتماعي الرفيع . والجدير بالذكر أن صالح بن عبدالرحمن هو أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية في ما يختص بالحساب ، وذلك أيام الحجاج ، « فكان كتاب العرافين غلمانته وتلامذته » ( أبو هلال العسكري : الأوائل ، ق ١ ص ٣٧٢ ) . وكان عبد الحميد الكاتب يقول : « لله در صالح ، ما أعظم مثته على الكتاب ! » ( البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٦٩ ) .

(٢٣) ابن النديم : الفهرست ، ص ١١٨ .  
(٢٤) ونحن ندع جانباً الرواية التي ربما انفرد ابن مكي الصقلي بذكرها والقائلة بأن ابن المقفع بكسر الفاء من حيث الصواب لا فتحها كما هو شائع ، وذلك لاشتغال أبيه بصنع القفاح وبيعها ( تنقيح اللسان وتلقيح الجنان ، ص ١٣٩ ) . وقد نقل ابن خلكان هذه الرواية عن ابن مكي ، كما أتى على ذكرها البغدادي من غير سند . والقفاح مفردتها الفقة مستديرة الشكل بدون عروة ، وهي تعمل من الخوص ، ويسميتها الناس « الفقة » ( ابن مكي : ص ١٣٩ هامش - ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٢ ص ١٥٥ - البغدادي : خزائن الأدب ، ج ٣ ص ٤٦٠ ) .

(٢٥) البلاذري : أنساب الأشراف ، ق ٣ ص ٢١٨ .

من الأمور الإضافية ذات الصلة بالكتابة ، شأن الديوان وبعض الأمور اللغوية والبيانية ، مما يوضح أن الصولي لم يجزئ كتابه على نحو سوي ، مع أنه في خطبة عمله عرض بالآخرين وغمز : « وهذا الكتاب هو المستحق أن يسمى « أدب الكتاب » على الإيجاب لا الاستعارة ، وعلى التحصيل لا على التمثيل . فإني رأيت من صنّف مثل هذا الكتاب ونسبه هذه النسبة ولم يحصل له منه إلا تسميته دون تجسيمه ، وتعميته دون إيضاحه وتقريبه من المعنى الذي ألبسه إياه ونسبه إليه » (٢٩) . فإذا كان يدور في خلد الصولي من المتقدمين عليه ابن قتيبة مثلاً ، فهو في مغمزه ظلوم وعداوة « الكار » فيه بيّنة .

ونجد بين طائفة المؤلفات التي تدور حول موضوعنا « كتاب الكتاب » لابن دَرَسْتَوِيَه ( ت ٣٤٧هـ ) الذي هو بمجمله مرجع « مهني » موجز يستدل الكتاب بواسطته على شروط كتابة الهمة ، وعلى المد والقصر ، والفصل والوصل ، والحذف والزيادة ، وشروط البدل والنقطة والشكل ، وشروط القوافي . وهناك باب رسوم خطوط الكتب ، شأن قول المؤلف حول معرفة تقليب القلم : « إعلم أن من الحروف والمدات والتعريفات ما يكتب بوجه القلم ، ومنها ما يكتب بحرفه ، ومنها ما يكتب بعرضه ، ومنها ما يكتب بسننه ، وقد رسم الكتاب في كل ذلك رسماً يعمل عليه » (٣٠) . وحرف القلم هو جانب سنه ، وعرضه هو الجانب الأيسر من سن القلم (٣١) . ولا يفوتنا التذكير هنا في قائمة الكتب الموضوعية لمهنة الكتابة بعمل أبي محمد عبدالله بن السَّيِّد البَطْلَيْسِيُّ ( ت ٥٢١هـ ) المتقدم الذكر ، وهو « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » المشتمل على ثلاثة أقسام أو أجزاء .

على أن الجاحظ يقف من الكتاب موقفاً يبدو عليه التحامل والاستخفاف بشأن هذه الفئة الاجتماعية الصاعدة ، وهو يرميهم بكل مثلبة في غير هواده أو تودة . وكأنه كان عرضة لأذى لحقه من بعضهم الطالح فجعل الجزء عنواناً أو مقياساً للكتاب أجمعين ، أو كأن أحدهم طلب الى الجاحظ تأليف رسالة في القدح بالكتاب فاستجمع ما في جعبته من الأمور الطاعنة بالكتاب وأفرغها في هذه الرسالة التي ليست بمنجاة من الغرض ! إن الجاحظ استعان

بـ « حُجَّجِه » للرد ، كما يبدو من مطلع رسالة « كتاب ذم أخلاق الكتاب » ، على شخص حقيقي أو متوهم امتدح الكتاب وزفع من شأو فعالهم ، فطوح بأبي عثمان « منطقتُه » الى الموقف النقيض ! إن الجاحظ ينظر في رسالته نظرة دونية إلى أصحاب مهنة الكتابة ، إذ لا يتقلدها إلا تابع ، ولا يتولاها إلا من هو في معنى الخادم . « فأحكامه أحكام الأرقاء ، ومحلّه من الخدمة محل الأغبيا » ! وهذا غلّو من الجاحظ بين فاقع . ويرمي أبو عثمان الكتاب بألوان القبائح من الصلف والتبّ والادعاء ، ويأخذ عليهم ابتعادهم عن القرآن والحديث والسنة ونفورهم من العلوم . ويضرب الجاحظ أمثلاً على شره الكتاب وما هم عليه من السفه والسخافة والجهالة والنذالة والبلادة ، فهم « أخضر الخلق لأماناتهم ، وأشراهم بالثمن الخسيس لعهودهم » . والكتاب أهل صناعة أشبه بالكلاب المتعادية في تحاسدهم وتحاذقهم على بعض ، وهم متقاطعون غير متعاطفين بنظرائهم برة ، شأنهم شأن الضرائر (٣٢) . وتنهض سيرة ابن المقفع خير مسفة لمغالاة الجاحظ الفاضحة المطلقة .

إننا نملك دليلاً أو بعضه على عدم إجادة ابن المقفع لأدوات الكتابة كلها ، إذ إنه لم يكن يجيد النظم المتقن ولا يستطيع من الشعر إلا ، على حد تعبير الجاحظ ، « ما لا يُذكر مثله » (٣٣) . على أن الذي نعرفه أن عُدّة هذا الفارسي المتعرب الفكرية كانت ذات شأن ، كما أن عُدته المناقبية جديرة بالاهتمام والاحتفال . وإذا لم يكن للإنسان مؤدب كنفه ، فقد تعهدها ابن المقفع برائق الخصال ورقيق الشمائل . والقصص موفورة وكلها تزكي ابن المقفع وتعطي شهادة ساطعة على معدنه الصافي . فهي تكشف أن هذا الرجل الظريف الساحر كان جميل الحال عميم الغلّة ، سخي اليد مضيافاً ، راقياً في مستوى حياته الاجتماعية ، ولا عجب ما دام أنه كان من أشراف أهل فارس . فهو يمتلك الغلمان ، ويتنوع ضروب الطعام ، ويغسل يديه بالماء قبل مباشرة الأكل (٣٤) . جاء عند القفطي : « ابن المقفع كان فاضلاً كاملاً » (٣٥) .

(٣٢) رسائل الجاحظ ، ج ٢ ص ١٩٠ - ١٩٥ ، ١٩٧ - ٢٠١ .  
(٣٣) البيان والتبيين ، ج ١ ص ٢٠٨ .  
(٣٤) البلاذري : أنساب الأشراف ، ق ٣ ص ٢١٨ - ٢٢٠ .  
(٣٥) تاريخ الحكماء ، ص ٢٢٠ .

(٢٩) الصولي : أدب الكتاب ، ص ٢٠ .  
(٣٠) ابن دَرَسْتَوِيَه : كتاب الكتاب ، ص ١١٩ .  
(٣١) ابن درستويه : ص ١٥٤ .

## « أيجعلك مؤدباً في آخر عمرك ؟ »

إذا كانت الدراهم تستعبد من الناس جُلهم فابن المقفع لها منفق دون حساب ، يجود بها على جوار ركبته الدّين فرام بيع داره ، وذلك حفاظاً منه على حرمة الجوار . ويقع صديقه الودود الكاتب عمارة بن حمزة في ورطة مالية ويشرف على بيع ضيعته ، وهو الذي كان المنصور والمهدي يمتلآن ما فيه من تيه وعُجب لبلاغته وفضله<sup>(٣٦)</sup> ، فيهرع ابن المقفع لانتشاله دون علم منه ، بل يضيف له الى ضيعته الأنفة ضيعة أخرى مجاورة نفيسة ويغدق عليه ما يحتاجه من مال<sup>(٣٧)</sup> . ومن الناس من يسعى إليه الدرهم فيضمه إلى مثيله ويكنز ما وسعه ، غير أن ابن المقفع ، على ما يتضح من أخباره ، كان يتناول باليد اليمنى ما ينشر بين ذوي العثرات باليد اليسرى . « وكان يكتب لداود بن عمر بن هبيرة على كَرمان ، فأفاد معه مالاً ، وكان يجري على جماعة من وجوه أهل البصرة والكوفة بين الخمسمائة الى الألفين في كل شهر »<sup>(٣٨)</sup> .

وإذا كان ابن المقفع منفاً على صحبه وعارفيه والمتصلين به بحكم الجوار ، فكيف يكون حاله مع الذين جمعته بهم حرفة الأدب والكتابة والعلم ؟ خصوصاً وأنه « كانت لعبدالله بن المقفع حال جميلة وغلة تأتيه من فارس كافية ، وكانت له مروج تقاد إليه منها البراذين والبغال ، فيهدياها ويحمل عليها »<sup>(٣٩)</sup> . وهذه الرواية توضح أيضاً أن ابن المقفع كانت تشده أصره متينة إلى فارس حيث وُلد في قرية « جُور » التي اشتهرت بالورد الذي يُنسب إليها . إليك هذه الرواية التي نراها مفتاحاً لحبايا نفس ابن المقفع ، النفس الكريمة التي تبدو الشهامة أدنى مراتبها : « قال سعيد بن سَلَم : قصدت الكوفة فرأيت ابن المقفع ، فرحب بي وقال : ما تصنع هنا ؟ فقلت : ركبني دَين فأحوجت الى الإزعاج . فقال : هل رأيت أحداً ؟ فقلت : ابن شُبْرَمَة وعرفته حالي ، فقال : أنا أكلم الأمين ليضمك إلى أولاده فيكون لك نفع . فقال : أفٍ لذلك ! أيجعلك مؤدباً في آخر عمرك<sup>(٤٠)</sup> ؟

(٣٦) ابن النديم : ص ١١٨ .

(٣٧) الجهشباري : ص ١٠٩ و ١١٠ .

(٣٨) الجهشباري : ص ١٠٩ - جاء في هذه العبارة ، كما أوردها المحققون لكتاب «الوزراء والكتاب » أن ابن المقفع « كان يكتب لدواوين عمر بن هبيرة » . وهذا وهم ، إذ الصحيح بدل « لدواوين » هو « لداود بن » !

(٣٩) البلاذري : أنساب الأشراف ، ق ٣ ص ٢١٩ .

(٤٠) كانت رابطة الصداقة تجمع بين ابن شُبْرَمَة وابن المقفع الذي كان باراً بصديقه

أين منزلك ؟ فعرفته . فأتاني في اليوم التالي ، وأنا مشغول بقوم يقرأون عليّ ، ومعه مندبل ، فوضعه بين يدي ، فإذا فيه أسورة مكسورة ودراهم متفرقة مقدار أربعة آلاف درهم ، وحينئذ زمان المنصور وفي الدراهم ضيق . فأخذت ذلك ورجعت به إلى البصرة واستعنت به<sup>(٤١)</sup> . لقد تيسر العمل لسعيد بن سلم ، لكن ابن المقفع الذي اشتغل بدوره مؤدباً لبعض أبناء إسماعيل ابن علي<sup>(٤٢)</sup> ، عم السّفاح والمنصور ، أبت عليه نفسه أن ينصرف رجل طاعن في السن إلى مزاولة التعليم ، إذ إنه يدرك كم سيجهد روحه في هذه المهنة الشّاقة .

## الحكمة ضالة المصلح

وإذا كان من أديب تشهد له مؤلفاته ومصنّفاته بنصرة الخلق الفاضل والتصرف الحكيم ، فابن المقفع ابن بُجْدتها - على رأي القول السائر . فهناك هذا السّفَر النفس الذي هو « كليله ودمته » معاون على الاستقامة ، والأخذ بالحكمة ، والانتفاع بتجارب الآخرين ، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل . « وينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وُضعت له ، وإلى أية غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه إلى البهائم ، وأضافه الى غير مُفْصِح ، وغير ذلك من الأوضاع التي جعلها أمثالاً » . ولا يقوت ابن المقفع أن يزيد من تنبيه قارئه ، لثلاث تشغله محاورات

عند الشدائد ، ولا عجب وسخاء صاحب « دفتر كليله ودمته » - كما جاء هذا التعبير في « رسائل الجاحظ » ( ج ٢ ص ١٩٢ ) - شائع شهير . ويُروى عن ابن المقفع أنه مر رجل يُقاد ، فقال خصمائه : « إن عزمكم أن تقتلوا هذا الرجل متعمدين لفتنه ، وتعمه ألا يكون أراد قتل صاحبكم . فخذوا مي ديتيه وهبوه لله . فلم يزل يطلب إليهم ويزيدهم ، حتى أخذوا منه ثلاث ديات وأطلقوه » ( البلاذري : أنساب الأشراف ، ق ٣ ص ٢١٩ و ٢٢٠ ) .

(٤١) الراغب الأصبهاني : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ج ١ ص ٥٢ و ٥٣ .

(٤٢) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ١ ص ٢٥٢ - إن الراغب الأصبهاني يورد رواية الجاحظ على نحو مختلف ، إذ يذكر أن إسماعيل بن عليّ كلف ابن المقفع « أن يجلس مع ابنه في كل أسبوع يوماً ، فقال : أتريد أن أثبت في ديوان النُوْكي ؟ » ( محاضرات الأدباء ، ج ١ ص ٥٢ ) . والنُوْكي هم الحمقى . وتعلم أن مهنة التعليم مقترنة ، في أذهان بعض الناس ، بالخفة وضروب الخماقة . فالوَدْب ، في نظرهم ، هو معلم صبيان ، ومن عاشر الصبيان غداً مع الزمن صنوهم ! على أن هناك رواية أوردها البلاذري تؤكد أن ابن المقفع ، على ما روى الجاحظ ، اشتغل مؤدباً لبعض وُلد إسماعيل بن عليّ . وقد سمعه يوماً يقول : « أعطوني برْدُونِي الأسود ، فقال له : لا تقل هذا وقل برْدُونِي الأدهم . فلما أتى ببرْدونه قال : هاتوا طيلسانِي الأدهم ، فقال له : إن عناء تقويم ما لا يستقيم » ( أنساب الأشراف ، ق ٣ ص ٢٢٠ ) ! والبرْدون تُجمع على برْدانين ، دابة الحمل المتناقلة المشي ، وهو بين الخيل من غير نتاج الجراب ( ابن منظور : لسان العرب ، مادة « برْدن » ، ص ١٣٣ م ٥١ ) .

الكاتب ومكانته والأهمية التي تُعلّق على ما يخطّه . فعندما استفحل خطر أبي مسلم الخراساني قال عبد الحميد للخليفة مروان بن محمد : « إني قد كتبت كتاباً إن أنجع فذاك ، وإلا فالهلاك . إني ضامن أنه متى قرأ الرسول على المستكفين حول أبي مسلم يشهد منهم أنهم يخطفون ، وإذا اختلفوا كلّ حُدّهم ودلّ جدّهم » . ويحكى أن هذا الكتاب كان من الكبرّ بحيث حُل على بعير ، كونه كُتب على رُقوق جلدية ، والرّق لا يتسع إلا للسطور القليلة<sup>(٤٨)</sup> ، وعبد الحميد قد أطال وأطنب . المهم أن هذا الكتاب الذي بذل فيه عبد الحميد عسارة مواهبه لينال به مأرباً ، عندما ورد على أبي مسلم الدهاية دعا بنار وطرحة فيها<sup>(٤٩)</sup> !

ويتبدى النوصف المتقدم الذكر لمهمة الكاتب « الديبلوماسية » في سيرة ابن المقفع نفسه عندما كان يتولى الكتابة لدى المسيح بن الحوّاريّ بنيسابور . فقد جاء سفيان بن معاوية لتسلم منصب المسيح ، فسفر ابن المقفع بينهما وخدع سفيان وماطله ، بحيث سمح للمسيح أن يهتّىء الرجال ويهزم سفيان<sup>(٥٠)</sup> . ويتجلى الدهاء السياسي لُدّن ابن المقفع على نحو مكشوف – حسبما ذكرت الرواية التي جاء بها إبراهيم بن محمد المدبر في « الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة »<sup>(٥١)</sup> – وذلك حينما كان كاتباً عند المنصور . وفحوى الرواية أن ابن المقفع لعب دوراً مع غيره من الكتّاب في توريط أبي مسلم الخراساني ، إذ استمالوه بحيث نزل عند رأيهم وقصد الخليفة المنصور الذي أجهز عليه وأحاله خيراً فاجعاً .

ذكرنا أن الكاتب قد تقع عليه تبعّة أخطاء سيده ، وابن المقفع وقع ضحية لأعمام المنصور الذين انصرف لهم . فقد ثار عبدالله ابن علي ، عم المنصور ، على ابن أخيه ورغب بالخلافة لنفسه ، وذلك إثر وفاة السّفاح . فأخفق عبدالله ، والتجأ عند أخويه سليمان وعيسى اللذين كانيعمل عندهما ابن المقفع في البصرة . وعندما طالب المنصور بتسليمه عبدالله خشي شقيقاه عليه ، ورغبا الى المنصور تسليمه لقاء أمان كلّفاً ابن المقفع بصياغته . فجاء به محكماً محرّجاً جارحاً ، بحيث أخرج المنصور عن طوره وملاً صدره حقداً على كاتبه ، مما جعله يجرّض سفيان بن

الحيوانات المسلية عن تلمّس الغرض الخبيء وراءها : « وكذلك يجب على قارىء هذا الكتاب أن يُديم النظر فيه من غير ضجر ، ويلتمس جواهر معانيه ، ولا يظنّ أن نتيجته الإخبار عن حيلة بهمتين ، أو محاوررة سُبّع لثور ، فينصرف بذلك عن الغرض المقصود »<sup>(٤٣)</sup> . فلباب هذا الكتاب نُصح وإرشاد ، وحثّ على المكارم ، ودفع عن المكاره ، والكلام عنه لا تفي به الكلمات . ولئن عرّبّه ابن المقفع وزاد فيه وحرّره ، بحيث جعله يتفق وقيم المجتمع الإسلامي ، فلقد انتقى ما نفع به الناس ، والحكمة ضالة المصلح أكانت هندية في أصلها أم فارسية .

وأدينا همّه أن يلتقط من أقوال الماضين أجودها ومن حكمهم أنفعها ، فهو يللم لك الحروف المضئبة ويُعمل فيها عقله ويطرحها تحت مجهر ثقافته ، فتغدو زاهية بالمعاني الكريمة ، التي « فيها عون على عمارة القلوب وصقلها وتجليه أبصارها ، وإحياء للتفكير ، وإقامة للتدبير ، ودليل على محامد الأمور ومكارم الأخلاق »<sup>(٤٤)</sup> . إليك هذا القول النافع نتاج التفاوت الاجتماعي الفاضح ، بحيث إن الخلال نفسها تتبدل معانيها بتبدل الطبقات التي تتحلّى بها : « وليس خلةً هي للغني مدح إلا هي للفقير عيب : فإن كان شجاعاً سُمّي أهوج ، وإن كان جواداً سُمّي مفسداً ، وإن كان حليماً سُمّي ضعيفاً ، وإن كان قوراً سُمّي بليداً ، وإن كان لسيناً سُمّي مهذاراً ، وإن كان صموتاً سُمّي عيباً »<sup>(٤٥)</sup> .

### مسؤولية الكاتب

إن الكاتب كان مسؤولاً ، وتمثل فيه شخصية « الديبلوماسية » . فهو يقيظ ، فهامة ، نصوح ، مطّلع ، داهية ، وقد يتحمل أخطاء سيده . والكاتب النموذجي يبدو في صورة الرجل الحاذق الذي تمثله مكيافليّ في « الأمير »<sup>(٤٦)</sup> . ولهذا قيل : « كل صناعة تحتاج إلى ذكاء ، إلا الكتابة فإنها تحتاج إلى ذكاءين : جمع المعاني بالقلب ، والحروف بالقلم »<sup>(٤٧)</sup> . ولعل ما يُروى عن عبد الحميد الكاتب يوضح هذه الصورة لمسؤولية

(٤٣) كليلة وديمة ، عرض الكتاب لعبدالله بن المقفع ، طبعة « المرّضي » ، ط ٥ ، ص ١٢٧ ، ١٤١ و ١٤٢ .

(٤٤) كرد علي : رسائل البلغاء ، الأدب الصغير لابن المقفع ، ص ٨ .

(٤٥) رسائل البلغاء ، ص ٣٤ و ٣٥ .

M. Farid ben Ghazi : Un Humaniste du 2e siècle H./8e siècle (٤٦)

J.C. - Abdallah ibn Al-Muqaffa' , vol.1, p. 70 - 71.

(٤٧) الراغب الأصبهاني : ج ١ ص ٩٧ .

(٤٨) محمد كرد علي : « عبد الحميد الكاتب » ، مجلة المجمع العلمي العربي « ٩م » ، ج ٩ ( آب ١٩٢٩ ) ، ص ٥٢٠ .

(٤٩) أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، ١م ص ١٥١ .

(٥٠) الجهشياري : ص ١٠٥ .

(٥١) كرد علي : رسائل البلغاء ، ص ٢٤٩ .

معاوية ، والي البصرة الذي خلف عليها سليمان بن علي ، على قتل ابن المقفع . وكان سفيان يتلهف على فرصة سانحة كهذه ، إذ إنه كان يطوي صدره على حقد مستسرّ على ابن المقفع ، وقد علمنا ما كان من أمر ناقل كليلة ودمنة عندما سَفَرَ بين سفيان والمسيح بن الحواري . لهذا ما أن أشار المنصور على سفيان بالتخلص من ابن المقفع حتى اسرع إلى الخوض في دمه ، على نحو بشع ، تشفياً وانتقاماً .

### تطور النثر الديواني

يبدو أن ابن المقفع بلغ مرتبة جليلة في الكتابة ، فهو « زعيم كتاب الفرس والعرب »<sup>(٥٢)</sup> . وهذه الكتابة أملت لها ظروف تاريخية ، فإن تطور الدولة الإسلامية ، والصعاب الإدارية التي واجهتها ، وامتداد رقعة الحكم ، وتشابك المصالح ، حملت المسؤولين ، كما ألمحنا في مطلع هذا الفصل ، على إيلاء الكتابة دورها التنظيمي المحتوم . لذا كان طبيعياً أن يتدرج النثر للتعبير عن الأغراض السياسية المستجدة ، وكان لا بد للدواوين أن تشهد هذا التطور في الأسلوب الذي ندين به لعبد الحميد بن يحيى الكاتب . ونحن نقصد التطور في الأسلوب الذي لحق النثر المستعمل في ديوان الرسائل أو الإنشاء ، فهو الديوان الذي يعول على الكتابة الفنية التي تحتاج إلى إتقان وصنعة ومَلَكة أدبية وبراعة بلاغية ، في حين أن سبيل بقية الدواوين في الكتابة كان حساب المال ووضع التقارير الرسمية وما أشبه من أعمال إدارية . ثم إن فن الرسائل لم يقتصر على الدواوين أو المناسبات الاجتماعية ، بل تعداهما إلى تناول السياسة وتدير المُلْك ، دفاعاً عن السلطة العباسية وتفنيداً لآراء خصومها . وقفز فن الرسائل متطوراً مع ابن المقفع والجاحظ وغيرهما للتعاطي في شؤون الأدب والفكر والتربية .

كان النثر الترسلي في عهد النبي والخلفاء الذين جاءوا من بعده بسيطاً ، مختصراً ، سريعاً ، لم يُقصد لذاته وإنما للتعبير عن غرض ، فليس فيه سعي إلى صياغة فنية واحتفال بمتعة جمالية<sup>(٥٣)</sup> . وظل الحال على هذا النحو إلى أن عرفنا الكتابة الفنية في أوائل القرن الثاني الهجري مع عبد الحميد بن يحيى وهو عبد الحميد الأكبر ، وبعدها مع صديقه ابن المقفع . وقد قال

(٥٢) طه حسين : من حديث الشعر والنثر ، ص ٤٠ .

(٥٣) المرجع السابق ، ص ٣٣ .

الجاحظ يمدح الكتاب : « لم أر مثل طريقة الكتاب ، فإنهم اختاروا من الألفاظ ما لم يكن وحشياً ولا ساقطاً سوقياً . وقال : إنما عذّب شعر النابغة لأنه كان كاتباً ، وكذلك زهير »<sup>(٥٤)</sup> . سامح الله أبا عثمان ، فلماذا إذاً وضع رسالة في ذم الكتاب ؟ !

### عبد الحميد الكاتب

وعبد الحميد من الموالى ، فهو مولى بني عامر بن لؤي . وقد وافى الشام حيث سكن الرقة ، وذلك من حديثه النورة بالأنبار ، أي أنه عراقي الأصل<sup>(٥٥)</sup> . تلقى العلم في الكوفة الشهيرة بمكانتها الثقافية ، وقد نزلها حديثاً واشتغل فيها مؤدب صبية . وارتبط اسمه بعدها بمروان بن محمد ، آخر الخلفاء الأمويين ، إذ صحبه مذ شَخَصَ والياً على أرمينية ، ثم لزمه خليفة حتى أيامه الأخيرة<sup>(٥٦)</sup> . مع العلم أن عبد الحميد ابتدأ في الكتابة للأمويين منذ عهد عبد الملك بن مروان ، واستمر في عمله هذا إلى انقضاء الدولة الأموية . وتلمذ عبد الحميد لحنته ، زوج أخته ، أبي العلاء سالم بن عبد الرحمن ( وقيل : بن عبدالله ) ، مولى هشام ابن عبد الملك ورئيس ديوان الرسائل في خلافته . وكان سالم يجيد اليونانية ، وقد نقل عنها إلى العربية بعض رسائل أرسطو إلى الإسكندر ، وقيل نقل له وأصلح هو<sup>(٥٧)</sup> .

هناك إجماع من القدماء والمحدثين على قيمة عبد الحميد الكاتب ودوره في تطوير النثر العربي وتطويره للتعبير عن المعاني المستجدة . قال ابن النديم : « وعنه أخذ المترسلون ، ولطريقته لزموا ، ولأشاره اقتفوا ، وهو الذي سهّل سبيل البلاغة في الترسّل »<sup>(٥٨)</sup> . ويقول طه حسين : « وربما لم يوجد كاتب يعدل عبد الحميد فصاحة لفظ ، وبلاغة معنى ، واستقامة أسلوب . فهو أحسن من كتب العربية ومرنها ، وأقدرها على أن تتناول المعاني المختلفة وتؤديها »<sup>(٥٩)</sup> . ولو أن المجال يسمح ههنا لوقفنا بعض

(٥٤) الراغب الأصبهاني : ج ١ ص ٩٧ .

(٥٥) يذكر ابن خلكان أنه من أهل الشام (وفيات الأعيان ، ٣ م ص ٢٢٨) .

(٥٦) « فلما جاء مروان الخبر بالخلافة سجد وسجد أصحابه إلا عبد الحميد ، فقال له مروان : لم لا سجدت ؟ فقال : ولم أسجد ؟ أعل أن كنت معنا فطرت عنا ! يعني بالخلافة . فقال : إذا تطير معي . قال : الآن طاب السجود ، وسجد » ( ابن نباتة : سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، ص ٢٣٧ و ٢٣٨ ) .

(٥٧) ابن النديم : ص ١١٧ - البلاذري : أنساب الأشراف ، ق ٣ ص ١٦٣ - ابن عبد ربه : ج ٤ ص ١٦٤ و ١٦٥ - ابن خلكان : ٣ م ص ٢٢٨ ، ٢٣٠ - الصفدي : ق ١٥ ص ٨٦ - كرد علي : « عبد الحميد الكاتب » ، مجلة المجمع العلمي العربي ، ( آب ١٩٢٩ ) ، ص ٥١٦ .

(٥٨) الفهرست ، ص ١١٧ - ابن خلكان : ٣ م ص ٢٢٨ .

(٥٩) من حديث الشعر والنثر ، ص ٧٤ .

الشيء عند هذا الكاتب البليغ ، الجيَّاش في رسائله ، المتبحر في بواطن العربية ، ولنظرنا في بعض نصوصه المختارة . وهي نصوص غزيرة ، ما دام أن مجموع رسائل عبد الحميد بلغ نحو الألف ورقة<sup>(٦١)</sup> . ويمكن الاطلاع على نماذج من هذه النصوص في « صُبْح الأَعشى » للقلقشندي .

ومن آثار عبد الحميد الذائعة ، التي بقيت لنا ، رسالته الى الكتاب ، وكان قد أصدرها على شكل منشور لرجال الديوان<sup>(٦٢)</sup> . على أننا نرى ، شخصياً ، أن التعرف الحقيقي على أسلوب عبد الحميد لا يمر عبر رسالته إلى الكتاب ، لأن هذه تتسم بالطابع الجاف الرسمي ، في حين أن عبد الحميد ، خلال رسائله الكثيرة ، ينجرد في تعبير متطاول ، متدافع ، وكأنه يمتطي صهوات الخيل المتراكضة<sup>(٦٣)</sup> . ويتساءل المرء بعدها : أحقاً هو فارسي الأصل ، كما في أغلب الروايات ؟ لأن أسلوبه لا يبنى أبداً إلا أنه عربي النِّجار ، عربي الأداة ، عربي الأسلوب ، وقد أشبع صاحبه وارتوى من منهل القرآن . إنه التأقلم المبدع والذوبان في ظلال حضارة إسلامية منفتحة . في حين أن صديقه ابن المقفع ظل بمثابة القنطرة بين العربية والفارسية معنىً ومبنىً وحضارةً .

مال عبد الحميد في أسلوبه الى الإطناب والتبسُّط في تقليب الأفكار، تَبَعاً لافتتاح الدولة واستيعابها الجديد من الحضارة . « ومن مواجب الحضارة الإسهاب ، ومن دواعي البداوة الاقتضاب » - على حد تعبير محمد كرد علي الذي يذهب أن هذه الإطالة في عرض الأفكار لم تكن وطيدة لدى الأمويين لأنهم عرب أقحاح تربوا على الإيجاز ، وعلى هذا المنوال كان كتبهم . ويردّ كرد علي هذه الإطالة عند عبد الحميد إلى تأثر هذا الرائد بالفارسية ، لغة قومه<sup>(٦٤)</sup> . والصحيح في رأينا أيضاً أن الإيجاز مرتبط بالخطابة ، وكانت شفوية تتجه إلى جمهور ، في حين أن الكتابة الديوانية المسجلة على القِرطاس تتطلب تركيزاً ، زِدْ أنها شرعت تعبر عن مضامين متقدمة اجتماعياً وتنظيمياً . ولا أدلّ على ذلك من أن النثر الفني غدا مع العباسيين جدلياً ، ونفض

(٦٠) ابن النديم : ص ١١٧ - ابن خلكان : ٣م ص ٢٢٨ - ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١٠ ص ٥٥ .

(٦١) راجع نص رسالة عبد الحميد الى الكتاب لدى الجهشباري : ص ٧٣ - ٧٩ .

(٦٢) وقيل لعبد الحميد : ما الذي مكّنك من البلاغة ؟ قال : حفظ كلام الأصم - يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ( ابن نباتة : سرح العيون ، ص ٢٣٩ ) .

(٦٣) « مجلة المجمع العلمي العربي » ، ٩م ، ج ١٠ ( أيلول ١٩٢٩ ) ، ص ٦٠٠ .

عن كاهله الكثير من معالم البداهة البدوية المرتجلة الفطرية .

ونجد كذلك في أسلوب عبد الحميد وفرة استعمال العطف والترادف ، ونلاحظ أيضاً انتقاء ذكياً للألفاظ الأصيلة المعبرة الرشيقة . كما أن عبد الحميد يلجأ إلى السُّجّع أحياناً ، غير أنه يبنئ عن التكلف والاصطناع . وقد تميز أسلوب عبد الحميد بالتوازن ، ويدعونه أيضاً الازدواج أو السُّجّع العاطل ، لأنه يقوم على تعادل الفقرات ، كما هو في السُّجّع ، ولكن من غير تقيد بالقافية<sup>(٦٤)</sup> .

كان لمهنة الكتابة أثرها في تجويد عبد الحميد أسلوبه . وذلك أن الخليفة كان في السابق يُملي رسائله ، أما هشام بن عبد الملك فكان أول من أوكل إلى مولاه أبي العلاء سالم تحبير رسائله . ثم اصطنع مروان بن محمد عبد الحميد للغرض نفسه ، فاشتهر بالكاتب<sup>(٦٥)</sup> . وغدا عبد الحميد - كما جاء عند ابن كثير - وزيراً لمروان<sup>(٦٦)</sup> . لا ريب أن ابن كثير الذي عاش في القرن الثامن الهجري ، قد أخطأ في إطلاق صفة « الوزير » على عبد الحميد ، لأن هذا اللقب أول من عُرف به وحمله في الإسلام السياسي هو أبو سلمة الخلال ، وزير السفّاح فاتحة الخلفاء العباسيين<sup>(٦٧)</sup> . ولا أحجى من أن ابن كثير نفسه يورد ، في الصفحة التالية من موسوعته التاريخية ، أن أبا سلمة كان أول من سُمي بالوزير<sup>(٦٨)</sup> ! وهي معلومة شائعة في مصادرنا الموثوقة . ولعل ابن كثير أراد القول عن عبد الحميد إنه كاتب مروان بن محمد ، باعتبار أن الكاتب الذي كان في مرتبة عبد الحميد ومكانته من مروان صار يُدعى الوزير مع حلول العهد العباسي<sup>(٦٩)</sup> . وهذا الاختلاط بين الكاتب والوزير شائع التداول ، على خطله ، عند مصنفي

(٦٤) أنيس المقدسي : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، ص ١٤٣ ، ١٥٢ - ١٥٤ ، ١٦٥ - ١٦٧ .

(٦٥) أحمد محمد الحوفي : أدب السياسة في العصر الأموي ، ص ٥٢٤ .

(٦٦) البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٥٥ .

(٦٧) أبو هلال العسكري : الأوائل ، ق ٢ ص ٩٨ - أبو منصور الثعالبي : تحفة الوزراء ، ص ١١٥ .

(٦٨) البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٥٦ .

(٦٩) يقول مروان بن محمد لعبد الحميد ، وقد تردد هذا الأخير في إبداء الرأي حول موضوع يشغل بال الخليفة : « قد رأيت سكوتك عمّا نطق فيه من رأيت ، فما عندك ؟ فليس هذا من الأمر الذي سكت عنه مثلك في قدر حالك عندي وثقتي بك . . . متى كنت تحفي عني شيئاً من رأيك ونصيحتك ، وإن وقع بخلاف ما نهوى ؟ . . . قد تعلم أنه لا يتقدمك عندي أحد في الثقة ، فتكلم على حسب ذلك » ( مؤلف من القرن الثالث الهجري : أخبار الدولة العباسية ، ص ٣٩٧ ) .

العصور العباسية ، ما دام الثعالبي نفسه ( المتوفى سنة ٤٢٩هـ ) يقع في الهفوة عنها ، إذ يورد أن عبد الحميد كان في جملة وزراء بني أمية وكتّابهم الكفاة<sup>(٧٠)</sup> .

لقد عمد عبد الحميد الى التأنيق في مطلع رسائله وختامها ، وتوسّل في بدء الرسائل بعبارات التحميد الطويلة المتنوعة ، بحسب ما يقتضيه الحال<sup>(٧١)</sup> . « وهو أول من اتخذ التحميدات في فصول الكتب »<sup>(٧٢)</sup> . فبعد الحميد أول من أطال الرسائل ، وجرى الناس بعده على أثره<sup>(٧٣)</sup> . وكما يقول أحد الباحثين في نثر عبد الحميد : « ليس من المبالغة أن نصف نثر عبد الحميد بأنه من آداب الملوك ، لأنه في أكثر إبداعه كان ينشئ لهم وباسمهم ، وسلوكه معهم قد فرض عليه من التوازن في السلوك ، ومن الأناقة في الزيّ ، ومن الانتظام في الحركة ، ما يجعل نثره يمتاز بهذه السمات »<sup>(٧٤)</sup> .

### ابن المقفّع « المستشرق »!

لن نعرض في هذا الفصل لأسلوب ابن المقفّع إلا على نحوٍ عابر ، وذلك لأن الآراء تضاربت فيه ، بحيث يستأهل بحثاً مستفيضاً مستقلاً . فالقدامي أشادوا ببلاغة ابن المقفّع : « قال أبو العيّن : كلام ابن المقفّع صريح ، ولسانه فصيح ، وطبعه صحيح ، كأن كلامه لؤلؤ منشور ، أو وُشي منشور ، أو روض معطور »<sup>(٧٥)</sup> . في حين أن أحد المحدثين الكبار يذهب إلى آراء في أسلوب ابن المقفّع يحسن إنعام النظر فيها . فعند رأي طه حسين أن ابن المقفّع « يكلف النحو العربي تكاليف ، ربما لم يكن النحو العربي مستعداً لأن يحتملها » . والسبب في ذلك أن ابن المقفّع ، على شهرته ، « لم يكن عظيم الحظ من الفصاحة والنحو العربي » . لذا فنحن واجدون في كتابته ، عند رأي صاحب « الأيام » ، ضروباً من التكلف والاعوجاج ، وإفساداً في تركيب الجمل بإفساد الضمائر ، وإكثاراً في التقديم والتأخير والإيجاز والحذف والإطناب الممل الثقيل . فابن المقفّع « لم يكن أكثر من مستشرق يُحسن اللغة العربية والفارسية ، ويبذل جهداً عظيماً

فيوفق كثيراً ويخطئ أحياناً »<sup>(٧٦)</sup> .

### الصدّاقة الفضلى

ولعل خير ما نختم به كلامنا حول الكتابة الديوانية وأصحابها الكتاب هو أن نعرض لموقف ابن المقفّع النبيل الشجاع خيال صديقه عبد الحميد الكاتب ، عندما حلّت بهذا الأخير المحنة عقب سقوط الدولة الأموية وتدحرج رأس مروان بن محمد . فإذا كان ابن المقفّع قد أطلق قوله الشهير « أبدل لصديقك دمك ومالك »<sup>(٧٧)</sup> ، فحياته كانت خير مصداق لهذه العبارة . فقد عرفنا ما كان من أمر جوده بالمال ، وهو بمنزلة أضعف الإيمان بالنسبة الى الجود بالدم ، لكن ناقل كليله ودمته لم يكن ليتراجع عن هذا البذل المصيري إذا دعا داعي ، إذ تُروى عنه بهذا الصدد حكاية شائقة . كانت الشرطة العباسية جاذة في البحث عن عبد الحميد الكاتب ، وهو النابه الشأن ، والبالغ منتهى الوفاء لآخر خلفاء بني أمية ، مروان بن محمد ، إذ ظل ملازماً له والخليفة يحثه على الرحيل وطلب الأمان من العباسيين وأن يُظهر الغدر به ، وعبد الحميد يجيبه : « ولكنني أصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك »<sup>(٧٨)</sup> ! ثم دارت الأيام على مروان شرّ دورة ، وعلمت الشرطة بوجود عبد الحميد لدى ابن المقفّع<sup>(٧٩)</sup> ، الذي كان ربما فاراً بدوره الى البحرين ، وقيل : الجزيرة<sup>(٨٠)</sup> . فداهم أفراد الشرطة الاثني عشر على حين غرة ، وهما في البيت ، وقالوا : « أيكما عبد الحميد ؟ فقال كل واحد منهما : أنا ! خوفاً من أن يُنال صاحبه بمكره . وخاف عبد الحميد أن يُسرعوا إلى ابن المقفّع ، فقال : ترقّفوا ، فإن فيّ علامات ، ووكّلوا بنا بعضكم ، ويمضي بعض يذكر تلك العلامات لمن وجّه بكم .

(٧٦) من حديث الشعر والنثر ، ص ٤٥ و ٤٦ ، ٥٦ .

(٧٧) رسائل البلغاء ، الأدب الكبير ، ص ٧١ .

(٧٨) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ١٠ ص ٢٦ و ٢٧ - البلاذري : أنساب الأشراف ، ٣ ص ١٦٤ - الجهشياري : ص ٧٩ - المسعودي : ج ٤ ص ٩٠ - ابن خلكان : ٣ ص ٢٢٩ - ابن نباتة : ص ٢٣٨ و ٢٣٩ . جاءت الرواية بأشكال مختلفة في هذه المصادر ، وقد أثبتنا عبارة البلاذري وابن نباتة .

(٧٩) هذا الأمر هو موضع تساؤل لدينا ، لأن هناك رواية تقول إن عبد الحميد قبض عليه ، بعد مقتل مروان بن محمد في مصر حيث كان مصاحباً له في فراشه ، ثم حُمل إلى السقّاح (الجهشياري : ص ٧٩) . ومع ذلك فإن الجهشياري نفسه الذي أتى على هذه الرواية يذكر في الصفحة التالية حادثة القبض على عبد الحميد لدى ابن المقفّع ، دون التفات الى المفارقة بين الراويين ! وهذا الأمر يتكرر لدى ابن خلكان (٣ ص ٢٢٩ ، ٢٣١) .

(٨٠) ابن خلكان : ٣ ص ٢٣٠ - ابن نباتة : ص ٢٣٩ .

(٧٠) تحفة الوزراء ، ص ١١٤ .

(٧١) الحوفي : أدب السياسة في العصر الأموي ، ص ٤١٥ ، ٥٣٠ و ٥٣١ .

(٧٢) ابن خلكان : ٣ ص ٢٢٨ - ابن نباتة : ص ٢٣٨ .

(٧٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ص ٩٠ - ابن خلكان : ٣ ص ٢٢٨ .

(٧٤) عبد الحميد يونس : « الكاتب الأول عبد الحميد الكاتب » ، مجلة « الهلال »

س ٨١ ، ع ٩ (سبتمبر ١٩٧٣) ، ص ٦٨ .

(٧٥) التوحيدي : البصائر والذخائر ، ٢ م ، ج ٢ ، ص ٣٦١ .

أترى كيف لم تأخذ ابن المقفع رهبة عندما فاجأه الشَّرط مع صديقه عبد الحميد ، بل غامر في وقت عصيب ، كفيل بأن يأخذ البريء بجريرة المذنب ، خصوصاً والصديقان يعاصران الانقلاب العباسي الدامي وما تلاه من تنكيل « ساديّ » بالأمويين ومَنْ والاهم ؟ أما كيف سلم ابن المقفع ، وكان كاتباً عند آل هُبيّرة ، وهم الذين فتك بهم السَّفاح إثر ملايين ومراوغة ، فما زالت علامة استفهام تبحث عن جواب جيّلي !

فَقَعْل ذلك ، وأخذ عبد الحميد « (٨١) . وجاء أن أبا العباس السَّفاح دفعه الى صاحب شرطته « فكان يَحْمِي طَسْتاً ويضعه على رأسه حتى مات » (٨٢) !

(٨١) الجهشيارى : ص ٨٠ - ووردت الرواية على نحو مماثل تقريباً لدى ابن خلكان : ص ٣١ - ٢٣١ - كما وردت بشكل جزئي عند ابن نباتة : ص ٢٣٩ .  
(٨٢) البلاذري : أنساب الأشراف ، ق ٣ ص ١٦٤ - ووردت الرواية بشكل مطابق تقريباً لدى ابن خلكان : ص ٣٠ - ٢٣٠ - وجاءت على نحو قريب الشبه عند ابن نباتة : ص ٢٣٩ .

## المصادر والمراجع

- ١٣ - ابن دَرَسْتَوِيَه (ت ٤٤٧هـ) : كتاب الكُتّاب ، تحقيق : إبراهيم السَّامرائي وعبدالحسين الفنلي ، دار الكتب الثقافية ، الكويت ١٩٧٧ .
- ١٤ - أبو هلال العسكري (ت حوالي ٤٠٠هـ) : الأوائل (قسمان) ، تحقيق : محمد المصري ووليد قَصَاب ، سلسلة « إحياء التراث العربي » (٤١ و ٤٢) ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٧٥ .
- ١٥ - أبو حَيَّان التوحيدي (ت ٤١٤هـ) : البصائر والذخائر (مجلدان) ، تحقيق : إبراهيم الكيلاني ، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء ، دمشق ١٩٦٤ ، ١٩٦٦ .
- ١٦ - الثعالبي (أبو منصور) (ت ٤٢٩هـ) : تحفة الوزراء (المسوّب إلى الثعالبي) ، تحقيق : حبيب علي الراوي وإبتهام مرهون الصّغار ، سلسلة « إحياء التراث الإسلامي » (٢٤) ، وزارة الأوقاف ، بغداد ١٩٧٧ .
- ١٧ - ابن النَّدِيم (البغدادي) (ت ٤٣٨هـ) : الفُهْرست ، تحقيق : غوستاف فلوجل ، ليزيك ١٨٧١ . وقامت بتصويره مكتبة خيَّاط ، بيروت ١٩٦٤ .
- ١٨ - ابن مكي (الصَّقَلِي) (ت ٥٠١هـ) : تنقيف اللسان وتلقيح الجنان ، تحقيق : عبدالعزيز مطر ، لجنة إحياء التراث الإسلامي (١٠) ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٦ .
- ١٩ - الرَّاعِب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ) : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٤ أجزاء) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١ .
- ٢٠ - البَطْلَوَيْسِي (أبو محمد) (ت ٥٢١هـ) : الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب (٣ أقسام) ، تحقيق : مصطفى السَّقَا وحامد عبدالمجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٨١ - ١٩٨٣ .
- ٢١ - البَقْفَطِي (جمال الدين) (ت ٦٤٦هـ) : تاريخ الحكماء ، تحقيق : جوليوس لِيْرت ، ليزيك ١٩٠٣ . طبعة مصوّرة قامت بها مكتبة المثني ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر (؟) .
- ٢٢ - ابن خَلِّكان (ت ٦٨١هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٨ مجلدات) ، تحقيق : إحسان عَبَّاس ، دار الثقافة ، بيروت ٦٨ - ١٩٧٢ .

- ١ - ابن المَقْفَع (ت ١٤٢هـ) : كليله ودمية ، تحقيق : محمد المَرْصَفِي ، ط ٥ ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر (؟) .
- ٢ - الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) : البيان والتبيين (٤ أجزاء) ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ٤٨ - ١٩٥٠ .
- ٣ - الجاحظ : رسائل الجاحظ (جزءان) ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ٦٤ - ١٩٦٥ .
- ٤ - ابن قُتَيْبَة (الذَّيْنَوْرِي) (ت ٢٧٦هـ) : أدب الكاتب ، تحقيق : محمد الذَّالِي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٢ .
- ٥ - ابن قُتَيْبَة (الذَّيْنَوْرِي) : عيون الأخبار (٤ مجلدات) ، تحقيق : أحمد زكي العدوي ، سلسلة « تراننا » ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ٦ - البلاذري (ت ٢٧٩هـ) : فتوح البلدان ، تحقيق : صلاح الدين النجّد ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦ .
- ٧ - البلاذري : أنساب الأشراف ، ق ٣ : العباس بن عبدالمطلب ووُلده ، تحقيق : عبدالعزيز الدوري ، سلسلة « النشرات الإسلامية » (٢٨) ، تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية ، بيروت ١٩٧٨ .
- ٨ - مؤلف من القرن الثالث الهجري : أختيار الدولة العباسية ، تحقيق : عبدالعزيز الدوري وعبدالجبار المطلب ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧١ .
- ٩ - ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨هـ) : المعقد الفريد (٧ أجزاء) ، تحقيق : أحمد أمين ، أحمد الزين ، وإبراهيم الأبياري ، ط ٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٠ - الجَهْشِيَارِي (ت ٣٣١هـ) : الوزراء والكُتّاب ، تحقيق : مصطفى السَّقَا ، إبراهيم الأبياري ، وعبدالحفيظ شلي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٩٣٨ .
- ١١ - الصُّوْلِي (أبو بكر) (ت ٣٣٥هـ) : أدب الكُتّاب ، تحقيق : محمد بهجة الأثري ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١هـ .
- ١٢ - المسمودي (ت ٣٤٥هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر (٧ أجزاء) ، طبعة بريه دي مينار وبافييه دي كرتاي ، عُني بتفتيحها وتصحيحها ووضع جزئين من الفهارس العامة : شارل پلّا ، منشورات الجامعة اللبنانية ، قسم الدراسات التاريخية (١١) ، بيروت ١٩٧٩ - ٦٦ .

٣٣ - طه حسين : من حديث الشعر والنثر ، مطبعة الصّاري ، القاهرة ١٩٣٦ .

٣٤ - أحمد محمد الحوفي : أدب السياسة في العصر الأموي ، مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠ .

٣٥ - جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ( ٥ أجزاء ) ، وهي الطبعة التي وقف عليها حسين مؤنس ، دار الهلال ، مصر ١٩٥٨ .

M'hamed Férid ben Ghazi : Un Humaniste du 2e siècle H./8e siècle J.C. - Abdallah ibn Al-Muqaffa' (thèse en 2 volumes), Faculté des Lettres, Université de Paris 1957.

٣٧ - محمد كرد علي : « عبد الحميد الكاتب » ، مجلة المجمع العلمي العربي « دمشق » م ٩ ، ج ٩ ( آب ١٩٢٩ ) ، ص ٥١٣ - ٥٣١ - ج ١٠ ( أيلول ١٩٢٩ ) ، ص ٥٧٧ - ٦٠٠ .

٣٨ - محمد كرد علي : رسائل البلغاء ، ط ٤ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٤ .

٣٩ - آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، أو عصر النهضة في الإسلام ( أجزاء ) ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريذة ، ط ٣ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧ .

٤٠ - أنيس المقدسي : تطور الأساليب الثرية في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٠ .

٤١ - عبد الحميد يونس : « الكاتب الأول عبد الحميد الكاتب » ، مجلة « الهلال » ( عدد خاص : أصحاب الأساليب ) ، ص ٨١ ، ع ٩ ( سبتمبر ١٩٧٣ ) ، ص ٦٤ - ٧١ .

٢٣ - ابن الطُّفَطَقِي ( ت ٧٠٩ هـ ) : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ .

٢٤ - ابن منظور ( ت ٧١١ هـ ) : لسان العرب ( ١٥ مجلدًا ) ، دار صادر ، بيروت ( ؟ ) .

٢٥ - الصَّفَّدي ( ت ٧٦٤ هـ ) : الوافي بالوفيات ، سلسلة « النشرات الإسلامية » ( ٦ ) ، تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية ، بيروت ٤٩ - ١٩٨٣ .

٢٦ - ابن نُباتة ( المصري ) ( ت ٧٦٨ هـ ) : سَرَح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٤ .

٢٧ - ابن كثير ( ت ٧٧٤ هـ ) : البداية والنهاية في التاريخ ( ١٤ جزءًا ) ، المطبعة السلفية ، مطبعة السعادة ، ومكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٣٢ .

٢٨ - ابن خَلْدون ( ت ٨٠٨ هـ ) : المقدمة ، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد ، مصر ( ؟ ) .

٢٩ - ابن حَجَّة الحَمَوِي ( ت ٨٣٧ هـ ) : ثمرات الأوراق ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧١ .

٣٠ - السُّيوطي ( ت ٩١١ هـ ) : حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ( أجزاء ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ٦٧ - ١٩٦٨ .

٣١ - عبدالقادر البغدادي ( المصري ) ( ت ١٠٩٣ هـ ) : خزانة الأدب ولبّ لسان العرب ( ٤ أجزاء ) ، المطبعة الأميرية ببولاق ١٢٩٩ هـ . طبعة مصوّرة قامت بها دار صادر ، بيروت ( ؟ ) .

F. Gabrieli : Encyclopédie de l'Islam (Nouvelle Edition) - article « Ibn Al-Mukaffa » , t.3 , p.p. 907-909.

